النصب على نزع الخافض في العربية

د. حيدر محمود عبد الرزاق

المديرية العامة لتربية نينوى/ مديرية الإشراف الاختصاصي

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٦/٢/٢ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٦/٥/٨

ملخص البحث :

يَتعاملُ البحثُ مع معضلةِ النحويين العربِ بخصوص الأفعالِ الشفّافةِ في العربيةِ والضرورةِ لإستعمال عبارةِ الجرّ. مثل هذه الظاهرةِ تُوْجَدُ في أكثر أعمالِ النحويين العربِ العظماءِ وفي بَعْض سور القرآن الكريمِ فهناك حرف الجرّ بين الفعلِ والاسمِ مَحْذُوفُ. هذا البحثِ يُقْصَدُ إعْطاء كُلّ الأجوبة لهذا الحَذْف، ومعاني مثل هذا البناءِ الجديدِ

Discussions About Making the Object a Preposition

Dr. Sahera Mahmmod Younis

State Faculty of Ninevh Governorate- Directorate of Specialist Supervisory

Abstract:

The research deals with the dilemma of Arab grammarians regarding transparent verbs in Arabic and the necessity of using prepositional phrase. Such a phenomenon is found in most works of great Arab grammarians and in some Holy Quran Surat there the preposition between the verb and the noun is omitted. This research is meant to give all the answers for such omitting, and the meanings of such new construction

المدخل :

يكثر النحويون وهم يتحدثون عن تعدي الفعل ولزومه من الإشارة إلى النصب على نزع الخافض ، ويكاد يجمع أكثرهم على أن ما ورد منه سماعي لا تصح محاكاته في سعة الكلام على الرغم من كثرة الوارد منه في الشعر والذكر الحكيم وغاية ما نجد في كتب النحاة حول هذه الظاهرة اللغوية تعبيرات متقاربة في لغتها ومعناها مفادها أن النصب على نزع الخافض حدث بسبب حذف حرف الجر الذي كان الواسطة لنقل معنى الفعل إلى الاسم فوصل الفعل إلى الاسم بنفسه .. أما لماذا حدث الحذف ؟ وما الدواعي التي ساقت إليه ؟ وما المعاني المستفادة من هذا التركيب الجديد ؟ وسأحاول في هذه الصفحات أن أجد لهذا التعبير سببا إذ ليس من المعقول أن يتفشى هذا الأسلوب بالكثرة التي نجده عليها من دون قصد يرمي إليه المتكلم . وهل تذهب العرب في كلامها المذهب الذي تريد إلا لمعنى يظهر حينا ويدق متواريا في تضاعيف العبارة تارة أخرى ؟ الم يقل سيبويه : ((وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها))[١] . فما الوجه الذي يحاولون الوصول إليه بهذا اللون من التعبير ؟

أقوال النحاة في هذه الظاهرة اللغوية :

يقول سيبويه وهو يعرض لهذا اللون من التعبير ((فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل ومن ذلك قول المتلمس[٢] :

آليت حبّ العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

يريد على حب العراق ... وليست (استغفر الله ذنبا) [٣] و (أمرتك الخير) [٤] أكثر في كلامهم جميعا ، وإنما يتكلم بها بعضهم)) [٥] فهو يقر بأنها لغة لبعض العرب – إنما يتكلم بها بعضهم – فإذا كان الواجب يقتضي أن نتبع اللغة الأكثر شيوعا فلا يعني ذلك أن ما ورد بخلافها شاذ لا يحق لنا محاكاته .

يقول ابن جني ((كيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء في كلامنا وان كان غير ما جاء به خيرا منه)) [٦]. ويقول في موضع آخر:

---

(١) الكتاب : ١/ ٦٥ .

(٢) الجنى الداني : ٤٧٣ / مغني اللبيب : ٩٩/١ .

(٣) أوضح المسالك : ٢/ ٢٨٣ البيت بتمامه (استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل)

(٤) البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي والبيت بتمامه في خزانة الادب : ١٢٤/٩ ، أمرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

(٥) الكتاب : ٧٣/١

(٦) الخصائص : ١٢/٢

((ليس ينبغي أن يطلق على شيء له وجه من العربية قائم وان كان غيره أقوى منه انه غلط))[١] وجاء في اللمع ((فالمتعدي بحرف الجر نحو قولك مررت بزيد ونظرت إلى عمرو وعجبت من بكر ولو قلت مررت زيدا وعجبت بكرا فحذفت حرف الجر لم يجز إلا في ضرورة الشعر غير أن الجار والمجرور جميعا في موضع نصب بالفعل قبلهما)) [٢] فهو ينكر على المتكلمين حذف حرف الجر في سعة الكلام ويراه مباحا لدى الشعراء . ولو سلمنا بذلك لاعترفنا بوجود لغتين نثرية وشعرية ولترتب على ذلك اصطناع قاعدتين نحويتين تختص أحداهما بالشعر دون الأخرى مع أن النصب على نزع الخافض قد ورد في القرآن الكريم كثيرا كما سيرد لاحقا ... جاء في الفوائد الضيائية : ((إنهم يقولون في ضربت زيدا أن الضرب واقع على زيد ، ولا يقولون في مررت بزيد أن المرور واقع عليه بل ملتبس به ..)) [٣] لقد أدت الباء ههنا عملها وهو الالتباس بزيد ولكن لو حذفت الباء لوقع المرور على زيد كما وقع الضرب عليه لقصد أراده المتكلم الم يقل جرير : تمرون الديار ولم تعوجوا[٤] ؟

ويرى الثمانيني وهو يتحدث عن ذهبت إلى بكر : ((فمعك عاملان الفعل وحرف الجر والاسم الذي بعد الحرف مجرور بالحرف وموضع الجار مع المجرور نصب بالفعل الذي قبلهما فان جئت بمعطوف بعد هذا المجرور كنت بالخيار إن شئت حملته على العامل الأقرب فجررته فقلت مررت بزيد وعمرو ، وان شئت حملته على الأبعد وهو الفعل فنصبته وعطفته على موضع الجار والمجرور لانهما في موضع نصب فقلت مررت بزيد وعمرا)) [٥] . ويلاحظ أن الثمانيني يصرح بوجود عاملين متكافئين هما حرف الجر والفعل ، وان اثر الفعل كامن في الاسم المجرور قبل حذف الجار بدلالة جواز العطف عليه بالنصب ، أما عند حذف حرف الجر وزوال تأثيره ظهر لنا اثر الفعل جليا وهو نصبه للاسم بنفسه ، فإذا كان الأمر كذلك والعاملان متساويان في تاثيرهما فلماذا اقتصرنا على المسموع منه ؟ وهبنا قبلنا بقول النحاة هذا ألا يحق لنا أن نتساءل عن الفرق في المعنى بين الجملتين ؟ وإذا كان التعبيران مختلفين معنى فلماذا لا نستخدمهما في كلامنا ؟

ومن المؤكد أن النحويين لم يهملوا الحديث نهائيا عن سبب حدوث هذه الظاهرة اللغوية . جاء في حاشية الصبان في موضوع تعدي الفعل ولزومه ((قوله – فالنصب للمنجر – وناصبه

---

(١) المحتسب : ٢٣٦/١

(٢) اللمع في العربية : ١١٨ – ١١٩

(٣) الفوائد الضيائية ، شرح كافية ابن الحاجب نور الدين الجامي ٣٢٠/١ .

(٤) مغني اللبيب : ١١٧/١ . ١٢٠/٢ .

(٥) الثمانييني الموصلي (ت ٤٤٢) مصورة مخطوطة دار الكتب المصرية برقم (١٥٧٠) نقلا عن كتاب اللمع اللمع في العربية تحقيق حامد المؤمن : ١١٨ .

عند البصريين فالفعل وعند الكوفيين إسقاط الجار)) [١] ويتحدث ابن يعيش عن المسألة نفسها فيقول : ((ومن ذلك سميته بزيد وكنيته بأبي بكر فانه يجوز التوسع فيه بحذف حرف الجر بقولك سميته زيدا وكنيته أبا بكر)) [٢] فما المقصود بالتوسع أليس هو عبور المألوف من الكلام إلى الأقل الفة لغرض أوجب له المقام ؟ ويعلل في موضع آخر سبب عدم وصول الأفعال اللازمة إلى أسمائها مباشرة فيقول: ((إنها أفعال ضعفت عرفا واستعمالا فوجب تقويتها بالحروف الجارة فيكون لفظه مجرورا وموضعه نصبا لأنه مفعول ولذلك يجوز فيما عطف عليه وجهان الجر والنصب نحو قولك مررت بزيد وعمرو وعمرا فالجر على اللفظ والنصب على الموضع))[٣] ومعنى ضعفت يعني أنها كانت غير ذلك فاقتضى التطور اللغوي أن تفقد بعضا من قوتها وتستعين على إيصال معناها إلى الاسم بالحروف وهو أمر لم يحدث اعتباطا ، وإنما لغاية بحسب مقاصد المتكلمين أقول : فإذا اقتضى المقام استخدامها متعدية بنفسها فهذا يعني الرجوع بها إلى اصل من أصول اللغة فعلينا أن نبحث ((عن روح الكاتب أو الشاعر في لغته على ما تظهر في الخصائص التي يخرج فيها عن المعايير اللغوية ويتجاوزها)) [٤] .

ونستطيع أن نتبين اثر ذلك في تخلف هذه الظاهرة في بعض الأفعال فهي تارة تتعدى بنفسها وتارة بوساطة حرف الجر مثل : ((شكر ونصح وقصد : شكرته وشكرت له ، ونصحته ونصحت له ، وقصدته وقصدت إليه ، قال تعالى : ﴿**وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ**﴾ النحل /١١٤ و ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**﴾ لقمان /١٤ و ﴿ **وَنَصَحْتُ لَكُمْ** ﴾ الأعراف الآيتان ٧٩ – ٩٢)) [٥] . وإذا كان النحاة قد قسموا حذف حرف الجر إلى سماعي وقياسي ((فمذهب الجمهور انه لاينقاس حذف حرف الجر مع غير أنّ وأنْ بل يقتصر فيه على السماع)) [٦] فان هناك من خالفهم الرأي وجعل الأمر قياسيا كله فقد ((ذهب أبو الحسن علي بن سليمان البغدادي وهو الاخفش الصغير إلى انه يجوز الحذف مع غيرهما قياسيا – يقصد مع أنّ وأنْ – بشرط تعين الحرف ومكان الحذف نحو بريت القلم بالسكين فيجوز عنده حذف الباء فنقول : بريت القلم السكين فان لم يتعين الحرف لم يجز الحذف نحو رغبت في زيد)) [٧] وقبل أن أغادر هذا الجانب أشير إلى أن (عباس حسن) يذكر ثمانية طرق يتعدى فيها الفعل اللازم إلى مفعول به أو ما كان بمنزلة

---

(١) ٢/ ١٣٠ .

(٢) شرح المفصل : ٣/ ٣١٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٣/ ٣١٥ .

(٤) التركيب اللغوي : د. لطفي عبد الفتاح ١٠٩ .

(٥) شرح شذور الذهب / ٣٦٨ .

(٦) شرح ابن عقيل : ٥٣٩/١ .

(٧) المصدر نفسه : ٥٣٩/١ وينظر شرح الرضي : ٤/ ١٣٩ .

المفعول به ويقصد بذلك (التضمين والنصب على نزع الخافض) ومع ذلك فالتضمين عنده قياسي أما النصب على نزع الخافض فهو سماعي [١] . يقول هذا مع انه يقترب كثيرا من الدلالات اللغوية التي تؤديها هذه الطرق عندما تجعل الفعل اللازم متعديا يقول:((إن كل وسيلة منها تؤدي مع التعدية معنى خاصا لا تكاد تؤديه وسيلة أخرى... ولهذا أثره في تغيير المعنى ... فان كان اثر الوسائل من ناحية التعدية واحدا فان أثرها مختلف من ناحية المعنى ولهذا لا تختار وسيلة منها إلا على أساس أنها مع تعديتها الفعل تؤدي معنى جديدا يساير الجملة ويناسب الغرض)) [٢] أليس هذا تصريحاً منه أن التعدية بحذف حرف الجر جاءت لتؤدي معنى قصد إليه المتكلم لم يؤدّ بغيرها بعيدا عن الضرورة الشعرية ، الم يرد في سعة الكلام قولهم : توجهت مكة وذهبت الشام بدلا من توجهت إلى مكة وذهبت إلى الشام [٣].

من النصب على نزع الخافض إلى التضمين :

جاء في المغني أن الفعل القاصر يتعدى إلى مفعوله بطرق سبعة وكلها قياسية إلا إسقاط حرف الجر فهو سماعي إلا ما كان منه مع أنْ وأنَّ[٤] فيدخل التعدية بالتضمين في جملة جملة القياسي وبعد ألف عام يقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بقياسية التضمين إذا تحققت المناسبة بين الفعلين وامن اللبس ولاءم ذلك الذوق العربي [٥] . وسأحاول أن أجد وشائج بين الأسلوبين (النصب على نزع الخافض والتضمين) من خلال عرض بعض الآراء منها أن الرضي الحق النصب على نزع الخافض بالتضمين هربا من القول بشذوذه فيقول في قول الشاعر : تمرون الديار ولم تعوجوا ، وبقول الله تعالى ﴿**لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ الأعراف /١٦ و ﴿**وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ**﴾ البقرة /٢٣٥ [٦] و ﴿**أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ**﴾ البقرة /٢٣٣ . ((والأولى في مثله أن يقال ضمن اللازم معنى المتعدي أي تجوزون الديار ، ولألزمن صراطك المستقيم ، ولاتنووا عقدة النكاح وترضعوا أولادكم حتى لا يحمل على الشذوذ كما ضمن الفعل معنى غيره فيتعدى تعدية ما ضمن معناه. قال تعالى ﴿**يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾ النور /٦٣ أي يعدلون عن أمره ويتجاوزون عنه)) [٧] .

---

(١) ينظر النحو الوافي : ٢/ ١٥٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢/ ١٥٢ .

(٣) ينظر شرح ابن عقيل : ١/ ٥٧٩ .

(٤) ينظر مغني اللبيب : ٢/ ١٧٤ – ١٧٨ .

(٥) ينظر النحو الوافي : ٢/ ٥٥٢ .

(٦) معاني النحو : ٣ /١٥ " لأن عزم فعل لازم وقد تضمن معنى (ولا تنووا) " .

(٧) شرح الرضي : ٤ /١٤٠ .

جاء في الخصائص ((واعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان احدهما يتعدى بحرف والآخر بحرف آخر فان العرب تتسع فتوقع احد الحرفين موضع صاحبه إيذانا بان هذا الفعل في معنى ذلك الآخر)) [١] . ويرى د. إبراهيم السامرائي إن التضمين قد يتعدى ذلك ويتجاوزه إلى تضمين فعل لازم معنى فعل

متعد وبالعكس ، ويرى أن مواضع التضمين واسعة وهذه السعة لا تدل على سعة البحث في الموضوع وأنهم قد تعمقوا بالمشكلة بل تكشف حيرتهم في الوقوف أمامها وقصورهم تجاهها لا يتجاوزونها إلى غيرها[٢] في حين يقول د. فاضل السامرائي ((إن للتضمين غرضا بلاغيا وهو الجمع بين معنيين بأقصر أسلوب وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر فنكسب بذلك معنيين معنى الفعل الأول ومعنى الفعل الثاني وذلك نحو قوله تعالى ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُو**﴾ الأنبياء /٧٧[٣] . وجاء في قوله تعالى ﴿**وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**﴾ الكهف /٢٨ يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره ... وإنما عدي بـ (عن) لتضمن (عدا) معنى (نبا) و (علا) في قولك نبت عنه عينك وعلت عليه إذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت أي غرض في هذا التضميين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو لا تعل عيناك عنهم؟ قلت: الغرض إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ))[٤].

وسنرى حين نعرض بعض الأبيات الشعرية التي ورد فيها النصب على نزع الخافض، والمعاني التي رشحت عنه أن أسلوبي تعدية الفعل اللازم (التضمين والنصب على نزع الخافض) متقاربان في الغرض الذي يقصدان إليه .

ما بين نزع الخافض وزيادته إتحاد في الغاية :

من الطريف أن نجد اللغة العربية تحمل في تراكيبها قوانين غاية في الاطراد تجري على نسق ، وتؤدي في جميع ضروب تعبيراتها معاني جديدة تنحو باتجاه الدقة والاختصار . فكما وجدنا أن النصب على نزع الخافض جاء لغايات أرادها المنشيء فإننا وفي مقابل ذلك نجد زيادة حرف الجر في الجملة يؤدي هو الآخر غرضا معنويا كالتوكيد والاستغراق . جاء في الكتاب : ((ما جاءني من احد ، وما رأيت من احد . وهي تفيد الاستغراق والتوكيد)) [٥] . ولتأكيد أهمية دخولها في الجملة وأدائها معنى جديدا يقول في موضع آخر ((وقد تدخل في موضع لو لم تدخل

---

(١) ٢ / ٣٠٨ .

(٢) ينظر من وحي القرآن / ١١٥ .

(٣) معاني النحو : ٣ /١٤ .

(٤) الكشاف : ٢ /٧١٧ .

(٥) الكتاب : ٢ / ٣٠٧ ، ينظر مغني اللبيب : ١ / ٤٥٩ .

فيه كان الكلام مستقيما ولكنها توكيد بمنزلة (ما) إلا أنها حرف إضافة وذلك قولك (ما أتاني من رجل) و (ما رأيت من احد) لو أخرجت (من) كان الكلام حسنا ولكنه أكد ب(من))) (١) . وقد أوضح الرضي في شرحه للكافية أن دخول (من) كان زائدا لغرض معنوي في ذاتها وليس من اجل إيصال معنى الفعل إلى مفعوله حسب . يقول : ((والدليل على زيادة (من) دخولها على ما لا توصل الفعل إليه اعني الفاعل نحو (ما جاءني من احد) ... وفائدة (من) الاستغراقية التنصيص على الفكرة مستغرقة للجنس إذ لولاها لاحتمل احتمالا مرجوحا أن يكون معنى(ما جاءني من رجل) ما جاءني رجل واحد بل جاءني رجلان أو أكثر فهي إذن لتأكيد ما استفيد من النكرة في غير الموجب من الاستغراق))(٢) . وتدخل في الجملة فتفيد التبعيض قال تعالى : ﴿**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ**﴾ نوح/٤ يقول عنها جمهور النحاة أنها ((تبعيضية لا زائدة فهي بمعنى بعض مفعول به وذنوبكم مضاف إليه لا ينافيه قوله تعالى :﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ الإسراء/ ٥٣ لأن هذا لنا معشر الأمة المحمدية والأولى لأمة نوح)) (٣) .

فقد أوضح سيبويه أن الجملة مستقيمة المعنى من غير (من) إلا أن دخولها أفاد معاني مضافة مثل التوكيد والتبعيض فوجودها ضروري في قوله تعالى : ﴿**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ**﴾ نوح/٤ . فالأسلوبان مختلفان ، ويقول د. فاضل السامرائي : ((فقولك (علمته) معنى علمت الأمر نفسه أما (علمت به) فالمعنى علمت بحاله قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**﴾ العلق/١٤ لا يطابق (الم يعلم ان الله يرى) فمعنى الثانية الم يعلم رؤية الله ومعنى الأولى الم يعلم بهذا الأمر ؟ الم يخبر به ؟)) (٤) .

ويمكن ملاحظة أن الفقهاء تحروا عن هذه المعاني الدقيقة أكثر من النحويين فقد ورد في شرح الكافية للرضي وهو يتحدث عن (الباء) ((وقيل جاءت للتبعيض نحو قوله تعالى : ﴿**وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ**﴾ المائدة / ٦ قال ابن جني : ((إن أهل اللغة لا يعرفون هذا المعنى بل يورده الفقهاء ومذهبه أنها زائدة لان الفعل لا يتعدى إلى مجرورها بنفسه)) (٥) . لقد دقق الفقهاء في هذه الأساليب لأن واجبهم إظهار المعاني التي كان العربي يدركها بسليقته وفطرته يوم نزلت أما ابن جني النحوي فلا يرى فيها سوى كونها زائدة من الناحية النحوية .

---

(١) المصدر نفسه : ٢ /٣٠٧ .

(٢) شرح الرضي : ٤ / ٢٦٤ .

(٣) حاشية الخضري : ١ / ٥٢٣ .

(٤) معاني النحو : ٣ / ٣١ .

(٥) شرح الرضي : ٤ / ٢٧٨ .

وليس من العسير على المتتبع لأساليب اللغة أن يدرك أن ورود حروف الجر بعضها مكان بعض ما هو إلا مغادرة المتوقع من الأساليب إلى غير المتوقع لاستجلاء قدراتها . أليس كل تغيير في الظواهر اللغوية العامة هو توسع في أساليبها وحيوية مضافة لقدراتها . يقول النحويون قد تأتي (الباء) بمعنى (عن)[1] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ المعارج /١ فلو أن (الباء) هنا قد أدت معنى الحرف (عن) تماما ما كان هناك حاجة للمجيء بها بدلا عنه . وقد يكون ((ضمن (سأل) بمعنى (دعا) فعدي تعديته كأنه قيل : دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه)) [2] وفي الحالتين يبقى استعمال الفعل (سال) غير استعمال الفعل(دعا) ودخول حرف الجر أعطى الجملة معنى الفعلين (سأل ودعا).

ولو حاولنا أن نتتبع هذه الظاهرة في القرآن الكريم والكلام العربي شعره ونثره لوجدناها تطرد على نحو عجيب يؤكد خصوبة اللغة فهي متحركة ولكن ضمن قوانينها العامة فالزيادة خروج على المألوف كما أن النقصان خروج هو الآخر وكلاهما يجري ضمن نسق من التفكير ثابت .

النصب على نزع الخافض في الشعر العربي

المتتبع لهذه الظاهرة في الشعر العربي يقع على أمثلة ليست بالقليلة منسوبة إلى شعراء جاهليين وإسلاميين مشهود بفصاحتهم فكان لزاما علينا الاّ نمر بها مرور العابرين مكتفين بالقول إنها أمثلة خرجت على المألوف نقبلها من أصحابها وليس لنا أن نقيس عليها متناسين أن هذا الأسلوب قد ورد في القرآن الكريم فعلينا أن نستقصي هذه الظاهرة اللغوية لنقع على مقاصد الشعراء والا نتكيء على القلة والشذوذ والضرورة الشعرية . وقبل الخوض في ذلك سأشير إلى ما قاله (عباس حسن) عن إعراب الكاف والاسم الذي بعده في قولنا (أرأيتك الحديقة هل طاب ثمرها مبكرا) وقوله تعالى : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ الإسراء /٦٢ فهو يرى أن الكاف في الفعل (رأى) المسبوق بهمزة الاستفهام هو حرف خطاب وان الاسم المنصوب بعدها منصوب على نزع الخافض لان الفعل (رأى) [3] جاء هنا بمعنى اخبرني فكأنك تقول : أخبرني

---

(١) رصف المباني / ١٤٤ " وتكون بمعنى (عن) نحو : (سألتك بزيد) أي عنه قال تعالى ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ أي عن عذاب " ، ينظر الجنى الداني / ١٠٩ ، فقه اللغة للثعالبي / ٤١٨ .

(٢) الكشاف : ٤ /٦٠٨ .

(٣) جاء في الكتاب لسيبويه : ١ / ٢٩٥ ((أرأيتك زيداً أبو من هو و أرأيتك عمراً أعندك هو أم عند فلان لا يحسن فيه الا النصب في زيد)) ، ينظر مغني اللبيب : ١ / ٢٨٣ ، ينظر نظم الدرر قال أرأيتك أي أخبرني هذا الذي كرمت علي أي لِمَ كرمته . ينظر تفسير النسفي : ٩١٦/٢ ،الأساس في التفسير : ٦ / ٣٠٨٨ .

عن الحديقة هل طاب ثمرها مبكرا . ويرى أن هذا الاستعمال لا يأتي إلا حين نطلب معرفة شيء له حالة عجيبة[١] . وهب أن النصب على نزع الخافض قد أعطانا معنى فعلين هما (رأى و أخبر) واجتهد في فحص بعض النصوص الشعرية التي ورد فيها النصب على نزع الخافض لنرى ما إذا كان جديرا بالعناية والقياس عليه وانه فعلا يدل على حالة عجيبة متميزة وأدى غرضا معنويا ما كان لنا أن نبلغه بغير هذا الأسلوب يقول الشاعر الجاهلي ساعدة بن جؤية في وصف الرمح [٢]

لـــدن بهـــز الكـــف يعســـل متنـــه   فيـــه كمـــا عســـل الطريـــق الثعلـــب

يقول النحويون والتقدير (كما عسل في الطريق) [٣] . ولا يتحدثون عن سبب هذا الحذف والذي يفهم من خلال كلامهم أن هذا الحذف جاء لإقامة الوزن . فهل حقا كان كذلك ؟ والجواب انه لا يوجد تعبير يتحتم على الشاعر الالتزام به لنفاد غيره من الصيغ والتراكيب ، وإذا فعل الشاعر ذلك وخالف قاعدة مطردة عد ذلك منه لحنا . والذي أراه أن (عسل في الطريق الثعلب) ليس من مقاصد الشاعر ، ولو فعل لكان قد شبه اهتزاز الرمح بروغان الثعلب في الطريق ، ولكنه أراد أن يقول : إن حركة الثعلب المضطربة في شعاب الطريق أوحت للناظر أن الطريق هو الذي يهتز . لقد استعمل الشاعر الفعل (عسل) مرة لازما في الشطر الأول وأدى الغرض الذي أراد ثم استخدمه في الشطر الثاني متعديا عندما اسقط حرف الجر فوصل الفعل إلى مفعوله بنفسه فدفع بالعبارة إلى معنى آخر وهو تشبيهه للرمح مضطربا في كف صاحبه باضطراب الطريق . والذي أوهمنا باضطرابه روغان الثعلب فيه . فهل كان حذف حروف الجر مفاجئا للنحويين بهذا القدر الذي جعلهم يقولون بخروجه عن المألوف ، وعدوه في جملة السماعي الذي لا يقاس عليه مع انه قد أوحى لنا بمعنى غاية في الدقة واللطف ؟ الم يقل سيبويه – الكثير المشافهة للعرب – أن هذا لغة قوم ؟ [٤] . ألا يسعفنا قول عمرو بن العلاء ((ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا اقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم شعر كثير)) [٥] . باعتماد هذا الأسلوب والقياس عليه ؟ والبيت لشاعر يفهم قوانين لغته ولا يخالفها فالشاعر ((لا يخرج عما

---

(١) ينظر النحو الوافي : ١/ ٢١٥ – ٢١٦ .

(٢) الكتاب : ١ / ٦٩ ، نوادر أبي زيد / ١٦٧ .

(٣) مغني اللبيب : ٢ / ١٧٧ (أي في الطريق) ويقول في موضع آخر : ١ / ٤٨ (او نصب الفعل المذكور على حد قوله كما عسل الطريق الثعلب) ، شرح الأشموني : ٢ / ١٣١ (مخصوص بالضرورة ... أي في الطريق) . شرح شواهد العيني على حاشية الصبان : ٢ / ١٣١ (والشاهد في الطريق حيث نصب بتقدير في توسعا اجراء اللازم مجرى المتعدي) . .

(٤) ينظر الكتاب : ١ / ٧٣ .

(٥) الخصائص : ٢ / ٢٤ .

عليه الاستعمال اللغوي للألفاظ والعبارات إلا ليبلغ بالتعبير مستوى آخر من مستويات الاستعمال الواقعة في اللغة أي أن الشاعر يظل محدودا بدائرة اللغة لا يتجاوزها

أما إذا لم يبلغ بالتعبير مستوى له وجود حاصل في اللغة فهذا من قبيل الخطأ الذي لا يجوز في الشعر أو في الكلام)) (١) . ونحن أمام شاعر أخذت اللغة عنه وعن قومه فكيف لا تصح محاكاته ؟ ولنتأمل في هذا البيت للشاعر يزيد بن الحكم (٢)

فليت كفافا كان خيرك كله وشرك عني ماارتوى الماء مرتوي

فقد ورد في المغني قوله : ((ويروى الماءَ بالنصب على تقدير (من) كما في قوله تعالى : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾ الأعراف /١٥٥ ففاعل ارتوى على هذا (مرتو) كما تقول شرب الماء شارب)) (٣) . أي ما ارتوى مرتو من الماء فبحذف حرف الجر (من) الذي خالف المتوقع والمعهود من التعابير حفز انتباه السامع إلى أن المقصود فعل آخر وهو (شرب) فيكون المعنى ما شرب الماء ولان غاية الشارب هو الارتواء فقد ذكر الشاعر النتيجة فقفز بنا نحو الهدف المرجو مختصرا الزمن ، وهو باستعماله للفعل ارتوى يكون قد أوحى لنا بمعنى الفعلين معا . ولو تدبرنا بيت جرير(٤)

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم علي إذن حرام

سنرى انه من اليسير القول : أن الشاعر قد ضمن الفعل (تمرون)معنى (تجوزون) هذا على جعل الفعل (مر) لم يتعد إلا بوساطة حرف الجر. والذي يجعلنا نقول هذا وجود أفعال تستخدم إلى الآن متعدية ولازمة بحسب مقاصد المتكلمين(٥) .... جاء في حاشية الصبان وهو يتحدث عن صوغ اسم المفعول

من الفعل اللازم قوله : ((قوله تام – يقصد الأشموني – أي مستغن عن حرف الجر . زاد في التساهل باطراد لإخراج تمرون الديار فانه يصح أن يصاغ منه

---

(١) الضرورة الشعرية دراسة اسلوبية /١٣.

(٢) خزانة الأدب : ١٠ / ٤٧٢ .

(٣) مغني اللبيب : ١ / ٤٢٠ .

(٤) البيت في ديوانه ويروى : أتمضون الرسوم ولا تحيا ... الخ وهذا من تصويبات النحاة .

(٥) أوضح المسالك : ٢ / ١٦ (نصحته وشكرته والأكثر ذكر اللام نحو﴿ نصحت لكم ﴾ الأعراف / ٧٩ و ﴿ أن أشكر لي ﴾ لقمان / ١٤ .

اسم المفعول فيقال : الدار ممرورة لكن لا باطراد)) (١) . ولماذا هذا التضييق في اللغة ما دام الشاعر قد أوصله بلا واسطة ، وصيغ منه اسم المفعول من غير حرف الجر ، وماذا يقول صاحب التسهيل في قول الشاعر (٢)

غضبت أن نظرت نحو نساءٍ   ليس يعرفنني مررن الطريقا

فقد عدى الفعل (مر) بلا وساطة حرف الجر وأوصل الفعل إلى مفعوله (الطريقا) مباشرة كما عداه جرير . ونستطيع أن نقول ونحن واثقون لو أن الشاعر أحس أن في كلامه خطأ وخروجا على المألوف لعدل عن الفعل (مر) إلى الفعل (عبر) ولقال : (عبرن الطريقا) ولكنه أراد أن يلمح إلى معنى الملابسة والمرور السريع .

ويمكننا بقليل من التدبر والعناية الدخول إلى عقول الشعراء ومعرفة المقاصد التي رموا إليها ، والأساليب التي اصطنعوها للوصول إلى غاياتهم و لجاز لنا أن نقيس عليها ((وندخل هذا في اللغة الأدبية والأسلوب الفني الذي يعتمد على توليد الصور الأدبية التي تستمد عناصرها من الخيال الذاتي للأديب)) (٣) .

النصب على نزع الخافض في القرآن الكريم :

لقد أهمت هذه الظاهرة اللغوية النحويين والبلاغيين والمفسرين لكثرة شيوعها في الكلام العربي عامة والقرآن الكريم خاصة ، وقد اشرنا خلال البحث إلى عشرات المواضع التي ورد فيها هذا التعبير في القرآن الكريم . وقسموها كما علمنا إلى قياسي مع (أنْ و أنَّ) وسماعي في غير ذلك . وإذا كنت هنا لا اعنى بما قالوا انه سماعي أو قياسي لان غرضي هو التأكيد على تفشي هذا الأسلوب وعلى الأغراض التي يؤديها ، والتدليل على أهمية وضرورة القياس عليه واصطناعه في كلامنا متى ألجأتنا الحاجة إليه متجاوزين قول النحاة بقبول ما ورد منه وعدم القياس عليه . فقد قمت بإحصاء ما ورد منه (النصب على نزع الخافض) في سورة البقرة وحدها فوجدته قد ورد في (٢٢) اثنين وعشرين موضعا (١٤) أربعة عشر موضعا مع (أنْ و أنَّ) و (٨) ثمانية مواضع بدونهما والمواضع بحسب ترتيب الآيات التي وردت فيها هي (٢٥ ، ٢٦ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ في موضعين ، ١٩٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٢) وبمجرد أن اعرض هذا العدد الكبير من الآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب أكون قد وقفت على حجم المشكلة التي واجهت

(١) حاشية الصبان : ٢ / ١٢٦ .
(٢) عمر بن أبي ربيعة ، الديوان / ٧٦ .
(٣) من وحي القرآن / ١١٧ .

النحويين وهم يقولون بشذوذه وعدم صحة القياس عليه ، أو إلحاقه بالتضمين هربا من هذه المعضلة وقد اختلطت عندهم حالات كثيرة منه بالتضمين الذي اقروا بصحة محاكاته . ومن الواجب أن اعرض بعضا من هذه الآيات على سبيل التمثيل ليس إلا لنرى حجم الاضطراب والتداخل في تفسيرها من ذلك قوله تعالى : ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾ البقرة / ١٣٠ . جاء في تفسير ابن كثير ((أي ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره)) (١) ولتضمنها معنى خاف وامتهن أو هلك عند ابن هشام (٢) ، وجهل نفسه فظلمها عند سعيد حوى (٣) ، وأعربها النحاة أي (نفسه) منصوبة على نزع الخافض (٤) . ومن المؤكد أن كل هذه المعاني إنما رشحت بفعل هذا التعبير المعجز الذي جاء به القرآن الكريم . ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في قوله تعالى : ﴿**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ**﴾(٥) البقرة /١٤٨ الاستباق افتعال والمراد به السبق وحقه التعدية باللام إلا انه توسع فيه فعدي بنفسه كقوله تعالى :﴿**وَاسُتَبَقَا الْبَابَ**﴾ يوسف /٢٥ على تضمين استبقوا معنى اعتنقوا(٦) . جاء في نظم الدرر فاستبقوا الخيرات ((أي اجعلوا انتم مقصدكم أنواع الخير)) (٧) . فلو قيل في غير القرآن الكريم (فاستبقوا إلى الخيرات) لكان معناه انتهاء استباقهم إلى غاية معلومة محددة أما بحذف (إلى) فقد أوحى بتعدد وتنوع الخيرات . ويلاحظ انه يختلط حديث النحويين والمفسرين في ظاهرة النصب على نزع الخافض بالتضمين ، والحقيقة أنهما لا يبتعدان غالبا ... يقول ابن هشام في قوله تعالى : ﴿**وَلَـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا**﴾ البقرة / ٢٣٥ ((أي على سر)) (٨) . وجاء في حاشية الدسوقي ((المعنى لا تواعدوهن في سر فهو نصب على نزع الخافض)) (٩) . ولو تتبعنا الأقوال في إعراب (سرا) فسنجدها تعرب حالا ومفعولا مطلقا(١٠) إضافة إلى إعرابها منصوبة على نزع الخافض . هذا كله عند النحاة سماعي أما ما أجازوه من هذا التعبير فهو ما ورد

---

(١) تفسير القرآن الكريم : ١ / ١٧٦ .
(٢) مغني اللبيب : ٢ / ١٧٧ .
(٣) الأساس في التفسير ١ / ٢٧٦.
(٤) ينظر البحر المحيط : ١ / ٥٥٦ .
(٥) المصدر نفسه : ١/ ٩٣ ((الخيرات منصوبة على نزع الخافض لان استبق لازم أي : الى الخيرات)) .
(٦) التحرير والتنوير : ٢ / ٤٣ .
(٧) نظم الدرر : ١ / ٢٧١ .
(٨) مغني اللبيب : ١ / ٢٢٩ .
(٩) حاشية الدسوقي : ١ / ٣٩٠ .
(١٠) ينظر إعراب القرآن الكريم : ١ / ٣٠٨ .

مع (أنْ و أنَّ) [١] . ((وإنما جاز حذف الجار هنا قياسا لاستطالتهما بصلتهما)) [٢] ولا أجد بينهما فرقا فالغاية واحدة وهي الوصول بالتعبير إلى معان لا يمكن الوصول إليها بغيره . قال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ البقرة / ٢٥ ، أي بان لهم[٣] . وبحذف التاء انتصب المصدر على نزع الخافض[٤] . وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة / ٦٧ أي بان تذبحوا ... من أن أكون [٥]... وهكذا بقية الآيات ....

وأخيرا أتمنى أن أكون قد وفقت إلى إبراز المعاني المستفادة من هذا الأسلوب الذي اصطنعه الكتاب والشعراء ووروده في القرآن الكريم بصورة لا يمكن إغفالها أو التقليل من أهميتها ، وخلصت إلى أن القول بعدم محاكاته هدر لطاقات اللغة وتضييق لأساليبها .

---

(١) ينظر شرح ابن عقيل : ٢ / ٥٣٩ ، شرح الأشموني : ٢ / ١٣٢.

(٢) شرح الرضي : ٤ / ١٣٩ .

(٣) مغني اللبيب : ١ / ١٧٨ .

(٤) اعراب القرآن الكريم : ١ / ٧٣ .

(٥) المصدر نفسه : ١ / ١١٩ .

نتائج البحث

- لقد كثر أسلوب النصب على نزع الخافض في القرآن الكريم والشعر العربي بصورة لم تشهده أية ظاهرة لغوية أخرى ، فقد ورد في سورة البقرة وحدها (٢٢) اثنتين وعشرين مرة مما يدفعنا إلى القول بان إهماله وعدم محاكاته تضييق للغة وهدر لطاقاتها .
- اهتم المفسرون بهذا الأسلوب أكثر من اهتمام النحويين به لان من واجبهم إظهار المعاني الدقيقة للنصوص القرآنية واستنباط الأحكام الشرعية منها .
- تكاد تجمع آراء النحويين بان النصب على نزع الخافض سماعي إلا ما كان منه مع (أن و أن) فهو قياسي ولم يشذ عنهم إلا الأخفش الصغير الذي اعتبر الأسلوب كله قياسيا .
- هناك تقارب بين أسلوبي التضمين والنصب على نزع الخافض وكثيرا ما كانت آراء النحويين تذهب في المسألة الواحدة بين القول بأنها من باب التضمين أو القول بأنها من باب النصب على نزع الخافض وقد الحقه الرضي في باب التضمين .

المصادر

- الأساس في التفسير سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين الدرويش ، دار ابن كثير ، بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ط ٥ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٦ .
- تحرير التنوير ، محمد الطاهر عاشور دار سحنون للنشر والتوزيع تونس .
- التركيب اللغوي للأدب عبد البديع لطفي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٠ .
- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ أبن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) دار الجيل ، بيروت ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، الإمام عبد الله بن احمد محمود النسفي (ت ٧١٠هـ) مراجعة الشيخ إبراهيم محمد رمضان ، دار العلم بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٩ م .
- الجنى الداني في حروف المعاني حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ) تحقيق طه محسن مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- حاشية محمد الخضري على شرح أبن عقيل تعليق تركي فرحان المصطفى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- حاشية الدسوقي على المغني ، الشيخ مصطفى الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني تحقيق محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا القاهرة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- خزانة الأدب ولب لسان العرب البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) تحقيق وشرح د. عبد السلام هارون ط١ مطبعة المدني القاهرة ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٢ م .
- الخصائص أبن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق محمد علي النجار دار الكتاب العربي بيروت .
- ديوان جرير دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤ م .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني المالقي(ت ٧٠٢ هـ) تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- شرح أبن عقيل على الفية أبن مالك (ت ٧٦٩ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- شرح الأشموني على الفية أبن مالك تحقيق محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا القاهرة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب أبن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .
- شرح الكافية رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) المكتبة التوفيقية .
- شرح المفصل أبن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق أحمد السيد سيد أحمد المكتبة التوفيقية القاهرة .
- الضرورة الشعرية دراسة اسلوبية السيد ابراهيم محمد ، دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٩ م .
- فقه اللغة وسر العربية ، الثعالبي تحقيق أملين نسيب دار الجيل بيروت .
- الفوائد الضيائية شرح كافية أبن الحاجب نور الدين عبد الرحمن جامي (ت ٨٩٨ هـ) دراسة وتحقيق د. أسامة طه الرفاعي وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراق ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢ م .
- الكتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) تحقيق د. أميل بدر يعقوب دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) رتبه وضبطه مصطفى حسين أحمد دار الكتاب العربي ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
- اللمع في العربية أبن جني تحقيق حامد المؤمن ، ط ١ مطبعة العاني بغداد ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
- المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها أبن جني تحقيق علي النجدي ناصف ، د. عبد الحميد النجار ، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م .
- معاني النحو د. فاضل السامرائي ، مطبعة التعليم العالي الموصل ١٩٨٩ م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب أبن هشام الأنصاري تحقيق بركات يوسف هبود دار الأرقم للطباعة والنشر ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .
- من وحي القرآن د. إبراهيم السامرائي ط ١ مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت ١٤٠١ هـ .
- النحو الوافي عباس حسن ط٤ دار المعارف القاهرة ١٩٨٧ م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور الإمام البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) وضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .